ذكرى العاقل وتنبيه الغافل

تأليف

الأمير عبد القادر الجزائري

تحقيق وتقديم الدكتور

ممدوح حقي

دار اليقظة العربية
للتأليف والترجمة والنشر

ذكرى العاقل
و
تنبيه الغافل

حقوق الطبع محفوظة

الامير عبد القادر الجزائري

(١٢٢٢ هـ - ١٣٠٠ هـ)

تقديم

بقلم
المحقق الدكتور
ممدوح حقي

استنّ المجمع العلمي الفرنسي ، في القرن التاسع عشر ، سنّة انتقاء أعضاء مراسلين له ، يتأيّدُ بهم ، ويفيد من آرائهم وخبرتهم ؛ ما يضيفه الى المعرفة الانسانية ، ويسجّله في موسوعته العلمية ، ويقدّمه الى الاجيال الصاعدة ، مساهمةً منه في خدمة الحضارة ، والتقدّم العقلي والفني .

وتبعت المجامع العلمية الاخرى – من بعدُ – هذا التقليد ، وأصبح عادةً متّبعةً في سائر الدول .

واختير مؤلف هـــذه الرسالة ، الأمير عبد القادر الجزائري ، عضواً مراسلاً لمجمع الخالدين في باريز ؛ فقدّم هذا البحث أمامه ، على نسختين . إحداهما باللغة العربية ، والاخرى مفرنسةً بقلم ترجمان القنصلية في دمشق . وهو شاب مسيحي ، من عائلة كريمة ، يجيد الفرنسية اكثر من العربية .

ألّف الأمير رسالته عام ١٢٧١ هـ[١] ونشرها ابنه محمد باشا في مطلع القرن العشرين ، مقدّمةً بترجمة موجزة لحياة المرحوم أبيه ، ولم يسمها

---

١ – أي قبل مئة عام ونيف .

بتوقيعه ؛ تحسّباً لأقاويل الناس ، وترفّعاً عن وصمة الدعاية لأبيه ! ! ولو فعل ؛ لما كان مخطئاً ، فليس الأمير عبد القادر ملكَ أسرته وحدها ، بل هو ملك الأمة العربية ، والمسلمين ، والتاريخ . والكتابة عنه ، بقلم ابنه ؛ تشريف لا يجرؤ أحدٌ على وصمه فيها ؛ بأنه يقوم بدعايةٍ لوالده . فمثل هذا البطل العظيم ؛ جدير بأن تكتب عنه المؤلفات الضخمة . ومَن أقدر على القيام بهذه المهمة ، من ولده ، الملازم له في حلّه وترحاله ، والمطّلع على كل دقيقةٍ وجليلةٍ من سيرته ؟ ! !

ولقد أحسن هذا الولد البارُّ ، أيما إحسان بتأليفه الكتاب الضخم « تحفة الزائر » في سيرة المرحوم أبيه . فهل تراه استصغر هذه المقدّمة اليسيرة عنه ، فلم يذيّلها بتوقيعه ؟ ! على أنها — على صغرها — واضحة لا تحتاج الى تعليق ، وهي بحجمها هذا ؛ كافية مفصّلة على قدر حجم الرسالة ، تفصيلاً لا إسهاب فيه ولا إيجاز .

وموضوع الرسالة — كما سترى — في العقل المدرك ، والعلم وإثبات النبوّة ، وفضل الكتابة والتأليف . . . وما يتعلّق بهذه الأمور ، أو يمتّ اليها بسبب .

أسلوبها ؛ واضح مبين ، يختلف عن أسلوب كتّاب القرون الوسطى ، المسجّع المتكلّف الموشّح بالبديعيات . . وقد كان سائداً في عصره . ولعلّه بهذا ؛ آخر حلقةٍ من تلك السلسلة ، وأوّل حلقةٍ من الأسلوب المتجدّد ، الذي نما — من بعدُ — على أيدي كتّاب القرن العشرين في الشرق الادنى ، وبخاصّةٍ في مصر وسوريا ولبنان .

عرض المؤلف — في مقدمته — مضمون رسالته ، ليضع قارئه أمام الموضوع يحملته ، فيكون على بيّنةٍ منه قبل الإقدام عليه . ورسم له خطته ، التي سار فيها ، رسماً منسّقاً مرتّباً ، يدلّ على قيامه في نفسه ،

قياماً واضحاً مشرقاً مدروساً . وهذه الطريقة في التأليف ؛ سادت أواخر القرون الوسطى وانتشرت ، إذ كان العقل العربي قد نضج نضجاً كافياً ، ثم أخذ ينحدر الى الجانب الآخر ، مع انبثاق فجر العلوم التجريبية ، في القرون الأخيرة ، على أيدي علماء الغرب .

والمؤلف متأثر بما ثقف من معلومات ، في كتب العرب وحدهم ، الى حدٍّ بعيد جداً . انظر الى أثر ابن خلدون فيه ؛ تجده واضحاً أشدّ وضوح ، في نظريته القائلة : بفعل العوامل المناخية في المخلوقات ، وفي تقسيم العالم الى مناطق ، لم يكونوا يعرفون سواها ، وجعله منطقة إيران شهر وسط المعمورة ! !

وإلى أثر الطبري فيـــه ، وهو يتحدّث بتاريخ الأنبياء . والى آثار الثقافة المتأخرة فيه ، حينما يرفع فلسفة اليونان بالتسلسل من أرسطو الى أفلاطون فسقراط عن فيثاغورس فتاليس الى لقمان الحكيم ! ! ويجعل اللغة السريانية أصلاً للغة الهندية ، وانها إنما تبدّلت بعد موت ادريس . ويفسّر الأبجدية تفسيراً أقلُّ مـــا يقال فيه : انه تنطّعٌ وتكلّف . ويحصر كتابات الأمم في اثنتي عشر قلماً ، ويحمّل ادريس بناء الاهرام[1] ... ويناقش نظرية انتقال الضوء ، وحساب سرعته ، على قاعدة المقولات العشر ، التي سادت الفلسفة الإسلامية ، أواخر عهودها فيقول :

« لقد حكي عن بعض علماء الوقت ، الآن ؛ أنه قال : ان الضوء يمشي من الجسم المضيء الى ما يقابله من الاجسام كذا وكذا متراً في كذا وكذا ثانية أو دقيقة . وتلقّى العامّة منه هذا القول بالقبول ! ! فهو

---

١ – يقول : وكانت اللغة السريانية صافيـــةً ، من آدم الى إدريس . وهو الملقّب بهرمس الهرامسة ، والمثلّث بالنعمة ، لأنه كان : نبيّاً ملكاً حكيماً . وهو باني الأهرام بمصر ، على الصحيح !!

استعمل هذا العالم قوّته النظرية ، في حقيقة هذا الضوء ؛ لم يحكم بانتقاله . لأن الضوء ، لا يخلو ، إما أن يكون جسماً أو عَرَضاً ، ولا قالت لهما . فلو كان الضوء عَرَضاً ، يمشي من الجسم المضيء الى ما يقابله من الأجسام ؛ كان لا ينتقل ، إلّا بانتقال الجسم ، الذي قام به ذلك العرض ، باتفاق العقلاء ، إذ حقيقة العرض ؛ هو ما لا يقوم بنفسه . ولو كان الضوء جسماً كان لا يداخل الأجسام . ولو دخل الضوء الى بيتٍ ، من طاقٍ ، فسدّ انسانٌ الطـــاق ، دفعةً واحدة ؛ كان يلزم : أن تبقى الأجسام المضيئة ، في البيت ، على تقدير أن الضوء جسم . وهو غير واقع بالمشاهدة ، وإنما حقيقة الضوء ؛ عرضٌ يحدث في ظاهر الجسم الكثيف ، من مقابلة الجسم المضيء له ، اذا كان بينهما جسمٌ شفاف . وإنما يحدث ذلك الضوء ؛ من السبب ، الذي يحدث منه ضوء الجسم المضيء ، كالشمس والسراج . فالذي يخلق الضوء في الجسم المضيء ؛ يخلق الضوء في الجسم المقابل له ، فالضوء عرض يحلُّ في الجسم الكثيف ، ولا يحلُّ في الهواء ، كما توهمه قوم ، بدليل أن القاعد في غارٍ طويل في الجبل ، لا يدري بالليل ، ولا بالنهار ، خارج الغار . والهواء يدخل الغار ، بلا شك » .

ولعلّ إيمانه العميق بالله تعالى ، وأنه خالق كلّ شيء ومدبّر كل شيء ، ومسيّر كل شيء ؛ هو الذي وقف دونه ودون تقبّل النظريات الحديثة ، التي بنت ظواهر الكون على التجريب والحساب الرياضي ، مجرّدة عن الأثر الديني فيها تجريداً تاماً ، فهو يرجع كل أمرٍ الى الله تعالى ، دون مناقشة في الأسباب ، أو بحثٍ في العلل : « فعقول الناس ؛ متفاوتة بحسب خلقة الله تعالى ، التي خلق الناس عليها . وعادة الله في جميع المخلوقات بالتدريج . والسبب الظاهر ، بحسب العادة ، التي أجراها الله باختياره في اختلاف الناس . والنقد خلقه الله للتداول . والذهب والفضة ؛ لا غرض فيهما ، وهما وسيلتان الى كل غرض . فكل من عمل فيهما عملاً لا يليق بالحكمة الإلهية ، فإن الله يعاقبه بالنار ... الخ » .

على أن الايمان بالأسباب ونتائجها ، وقوانين الطبيعة في الضوء والصوت والكهرباء والمغناطيس والحجم والوزن ... وسواها من مظاهر الكون ؛ لا تتنافى والايمان بالله تعالى في شيء . فالله – جلّ شأنه – هو الذي وضع للطبيعة هـــذه القوانين ، لا تتعدّاها مطلقاً ، حفظاً على نظامها وتنسيقها ودرءاً لها من الفوضى . وعلى أساسها ؛ تقدّمت العلوم التجريبية ، هذا التقدم المدهش العجيب ، الذي نلاحظه في عصرنا الحاضر ، فرأينا من آثاره : الهاتف والبرق والسيارة والطيارة والراديو والتلفزيون والاقمار الصناعية وتفجير الذرّة والتصوير الالكتروني ... الخ . وما زالت العلوم في تقـــدّم مستمر ، تكتشف كل يوم سراً جديداً من أسرار الطبيعة وتستخدمه في مصلحة الحضارة . فلو وقفنا منها جميعاً ، موقف الأمير ، مؤلف الرسالة ، من نظرية سرعة الضوء ؛ لبقينا في مؤخرة الشعوب ! !

والعجيب من أمره ؛ أنه زار باريز – مركز الحضارة الأوروبية في القرن التاسع عشر – أكثر من مرّة . وتنقّل في أوروبا بالقطار وبالباخرة ، واستخدم البرق في مراسلاته واطلع على التطور في مكمنه ، ثم . . لم يتأثر به التأثر اللائق بأمثاله من العلماء . فقد وقف – مثلاً – من تعليم المرأة ؛ موقفاً حازماً صريحاً ، في منع نور العلم عنها ، متأثراً بالتقاليد المتخلّفة ، وهو يظنها من الدين يقول :

« وفي الكتابة ؛ تعبير عن الضمير ، بما لا ينطق به اللسان . ولذا قيل : القلم أحد اللسانين ، بل الكتابة ، أبلغ من اللسان . فإن الانسان ؛ يقدر على كتابة ما لا يقدر أن يخاطب به غيره ، ويبلغ المقصود ، حيث لا يمكن الكلام مشافهةً . ولهذا ؛ نهى شرع الاسلام عن تعليم النساء الكتابة ، لأن المرأة قد لا يمكنها لقاء من تهوى ، فتكتب له ، فتكون الكتابة سبباً للفتنة » .

فكيف غاب عنه قول الله تعالى : « هل يستوي الذين يعلمون والذين

لا يعلمون ؟ ! » واسم الموصول هنا ؛ لا يختص بالذكور وحدهم ، بل هو لفظ يطلق على العموم .

كيف غاب عنه ، ان العلم نور وبصيرة ، والجهل ظلام وعمى . والله تعالى ؛ يقول ، في محكم كتابه العزيز : « هل يستوي الأعمى والبصير ؟ ! »

كيف غاب عنه قـــول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) : « اطلبوا العلم ولو في الصين » . و « طلب العلم ؛ فريضةٌ على كل مسلم ومسلمة » .

كيف غاب عنه — وهو العالم بالسيرة — قصة افتداء أسرى بدرٍ بالتعليم .

وهل يكون العلم بغير واسطة القلم ؟ ! وهل يكون العلم ، بغير تعلّم القراءة والكتابة ؟ ! فكيف يمنع النور عن المرأة ، ويحرمها تعلّم الكتابة ، خشية أن تكتب الى عشّاقها ، بما لا تستطيع البوح به كلاماً صريحاً ؟!

الحمد لله ، أن تعليم المرأة ؛ أصبح — في هذا العصر — أمراً مفروغاً من البحث فيه . والمرأة التي تريد أن تفسق ؛ لا يمنعها جهلها الكتابة ، من الفسوق . ولا تعاونها الكتابة على المعصية . ومن اطلع على أقاصيص القرون الوسطى ، حيث كانت المرأة مغموسةً غمساً بالجهالة العمياء ؛ رأى عجباً من العجب في صور المعصية والفسوق ، مما لم يلحقهم في حلبته ، عصرنا المتعلّم ، المتّهم بالمعاصي والفجور . والقصة ؛ صورة حقيقية من صور المجتمع . إن زانها الخيال المبدع حيناً ؛ فلقد قامت على أساسٍ من الواقع ، لا شك فيه ، أحياناً كثيرة .

وكيفما كان الأمر ؛ فإنا نقدّر الرسالة ونحترمها ونعتبرها نموذجاً ممتازاً ، لما وصل اليه المستوى العلمي ، في بلادنا ، أواخر القرن التاسع عشر . وهي بذلك وثيقة جديرة بالبحث ، قمينة بالدرس ، فليأخذها القارىء على هذا الأساس .

ترجمة المؤلف

قُدِّس سرُّه

هو الإمام الأوحد ، والعلم المفرد ، العارف بالله ، والتقي الاوّاه ، عالم الامراء ، وأمير العلماء ، الأمير الخطير ، السيد عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري .

وُلد في شهر رجب سنة ١٢٢٢ في القيطنة، وهي قرية اختطها جده ، في إيالة وهران ، من أعمال الجزائر . وتربى في حجر والده ؛ الى أن بلغ سنّ التمييز ، فحفظ الكتاب العزيز ، في المدرسة ، التي أسسها والده ، في القيطنة . وتلقى بها بعض العلوم . وكان والده ، كأسلافه من العلماء الأعلام ، الذين يرجع اليهم ، في مشكلات الأحكام . ولما بلغ أربع عشرة سنة ؛ سار الى وهران ، لاستكمال فنون العلوم .

وفي سنة ١٢٤١ سافر مع والده ، منها براً ، الى الحجاز ، على طريق مصر . وبعد أداء فريضة الحج ؛ قصدا المدينة المنوّرة ، لزيارة الحضرة الشريفة النبوية . ومنها توجّها الى دمشق ، صحبة الركب الشامي . ثم سافرا الى بغـــداد ؛ فزارا حضرة القطب الرباني ، سيّدي عبد القادر الجيلاني « قدس الله سرّه العزيز[1] » وأخذ ، كلٌّ منهما، الإجازة بالطريقة

---

١ – الحضرة ؛ لغة : المكان . والمقصود هنا : زيارة ضريح الشيخ ، لا الشيخ نفسه ، اذ كانت قد مضت على وفاته قرون .

القادرية ، عن الشيخ محمود القادري ، نقيب الأشراف ، وشيخ السجادة القادرية . ثم رجعا الى دمشق . ومنها عادا الى الحجاز ؛ فحجّا مرّةً ثانية . ثم رجعا الى الوطن . وذلك سنة ١٢٤٣ وكان — طاب ثراه — في مدّة سفره ؛ يتولى خدمة أبيه بنفسه ، مع كثرة الخدم ، الذين كانوا معهم .

وفي سنة ١٢٤٨ بايعه أهـــل الجزائر ، وولّوه القيام بأمر الجهاد . وذلك ؛ بعد أن طلبوا مبايعة والده ، فاعتذر عن قبولها . فلما ألحّوا عليه ، أشار عليهم بمبايعة ولده ، المشار اليه ، لما رأى منه ، من الكفاية ، بما يتعلق بهذا الامر الجلل ، ولما اشتمل عليه ، من الأوصاف الجميلة ، التي تجعـــل النفوس الأبية ؛ خاضعةً له ، ومنقادة اليه . وصورة المبايعة ؛ مذكورة في كتاب « عقد الأجياد ، في الصافنات الجياد[1] » تأليف حضرة نجله الأكبر ، الأمير الجليل ، صاحب السعادة ، محمد باشا . فلما بايعوه ؛ قـــام بأمر الجهاد ، أتمّ قيام . وجمع كلمة المسلمين في تلك الأقطار . وأحسن السياسة في رعيته ، مقتفياً آثار أسلافه ، أجداده الأدارسة ، الذين كانوا ملوكاً ، في المغرب الأقصى والأوسط والاندلس . فتمكن حبّه في قلوبهم وبذلوا نفوسهم في طاعته ، وامتثال أمره . وقد جرت ، بينه وبين دولة فرنسا ، حروب تشيب لها الأطفال ، استمرت نيفاً وخمس عشرة سنة . وفي مدة إمارته ؛ ضرب سكّة نقود ، سماها « المحمدية » وأنشأ معامل للأسلحة ، والادوات الحربية ، وملابس للجند . وظهرت منه شجاعة ، خارقة للعادة ، تحدّث بها القاصي والداني . ودوّنها أصحاب التواريخ . وكان يتقدّم الجيش بنفسه . ولا يبالي بكثرة العدوّ ، ولا برشق الأدوات الحربية ، التي أعدّتها دولة فرنسا .

---

١ — وتجـــد نص البيعة في كتاب « تحفة الزائر » الطبعة الثانية ، الصفحة ١٥٧ — ١٦٥ تحقيق الدكتور ممدوح حقي .

ثم بينما كان مهتماً بذلك ؛ إذ هاجمته العساكر المراكشية من خلفه ، لأسبابٍ يطول شرحها . وفي أثناء محاربة هذا الجيش ؛ رأى ان الثبات لمقاومة هاتين الدولتين العظيمتين ؛ لا سبيل إليه ، فجنح الى السلم . ثم فاوض أعيان مَنْ كانوا معه ، من المهاجرين المجاهدين ، في أن يستأمن دولة فرنسا : لنفسه وأهـــله ومن يتبعه من قومه ، على ان يحملوه الى الاسكندرية أو عكا ، من أرض الشام ؛ فوافقوه على ذلك . وفي الحال ؛ خابر قائد الجيش الفرنسوي ، فيما اتفقوا عليه ، على شروط ، قررها له ؛ فأجابه الى ما طلبه ، واشترطه . ثم خصصوا له مركباً حربياً ، وحملوه ومن معه ، وكانوا ينيفون على الثمانين نفساً ، إلى طولون . وبعد ستة أشهر ؛ نقلوه الى أمبواز ، فأقام بها : أربع سنين وستة أشهر .

ولما أفضى أمر فرنسا ، الى نابليون الثالث ؛ زار الأمير بها . واظهر له كل تجـــلة واكرام . وأسفَ أسفاً شديداً على تأخير الوفاء ، بإنجاز الشروط ، الى ذلك الوقت . وبعد ان بشره بالتسريح الى بلاد الإسلام ، وفرّق على أتباعه عشرين ألف فرنك ؛ أخذ عليه العهد : على ان لا يرجع الى الجزائر . وأهداه سيفاً مرصعاً . ورتب له في السنة ؛ خمسة آلاف لـــيرة ، على أن تصرف له مشاهرة . وكفله على ذلك ؛ حضرة مولانا السلطان ، العظيم الشان ، السلطان عبد المجيد خان . ثم ركب الأمير ، ومن معه ، مركباً حربياً . وسافر الى الآستانة العلية فتلقـّاه بعض الوزراء على الميناء ، ومعهم العجلات السلطانية ، والخيول الجياد . وذهبوا به الى المابين الهمايوني [1] . وتقابل مع حضرة السلطان ، المشار اليه ؛ فاحتفل به احتفالاً عظيماً . وعامله بما يليق بمثله . وأكرمه غاية

---

١ – المابين الهمايوني : هو صرح السلطان في استانبول ، ومقر عمله ومسكنه معاً ومنـــه كانت تـــدار الامبراطورية العثمانية ، على عظمتها واتساعها وانفساح رقعتها في آسيا وأوروبا وافريقيا ، وجزائر البحر المتوسط .

الإكرام . وأنعم عليه بدار عظيمة ، في مدينة بروسة ، بما اشتملت عليه من الأثاث والرياش . فسكنها مع آله وحشمه . وأقبل على بثّ العلم ، وإفادة الناس .

وفي سنة ١٢٧٠ ذهب الى الآستانة . ومنها الى باريز . ثم رجع الى بروسة . وحصل له ، في هذه الحركة إقبال [١] عظيم ، واحتفال جسيم .

وفي سنة ١٢٧١ عزم على مبارحة بروسة ؛ لتوالي الزلازل الهائلة بها . فاختار الاقامـــة بدمشق . فأتى اليها ؛ فتلقاه أهلها باحتفال عظيم . وانزلته الدولة العلية ، في أحسن دار .

وفي سنة ١٢٧٣ توجه لزيارة بيت المقدس والخليل . ثم رجـــع الى دمشق . وأقبل على قراءة الكتب العلمية : كالبخاري ومسلم . وكان قسمٌ من دار الحديث ، قد استولى عليه بعض الأجانب ؛ فسعى في استخلاصه منه ، ببذل أموال طائلة .

وفي سنة ١٢٧٧ وقعت الواقعة ، المشهورة في ذلك التاريخ ؛ فبذل الأمير جهـــده ، في إسعاف المسيحيين ، قياماً بما يوجبه أمر الدين . ولشجاعته وحسن تدبيره — قدس سره — تيسر إنقاذ ألوف عديدة منهم ؛ فأهدته الدولة العلية ، وسائر الدول العظام ، علامات الشرف ، من الدرجة الأولى . ثم سافر الى حمص وحماه ؛ فزار في حمص ، أسد الله ، سيدنا خالد بن الوليد (رضي الله عنه) ورجع الى دمشق .

وفي سنة ١٢٧٩ قصد البلاد الحجازية . وأقام بها مدّة سنة ونصف ؛

---

١ — اقبال : أي استقبال .

مقبلاً بها على : العبادة ، والخلوة ، والحجّ ، والاعتمار . وحصل له هناك فتح عظيم ، أشار اليه في قصيدته الرائية ، التي مطلعها :

أمسعود جاء السعد والخير واليسر

وولّت ليالي النحس ليس لها ذكرُ [1]

وفي سنة ١٢٨١ توجه الى الآستانة ؛ لزيارة ساكن الجنان ، السلطان عبد العزيز خـــان ، والسعي في إسعاف من نسبت اليهم الواقعة المنوّه عنها ، وتخفيف الجزاء . فاجتمع به . وأكرمه غاية الاكرام . وأهداه الوسام العثماني ، من الدرجة الأولى ، وهو أكبر وسام في ذلك العصر . وأسعفه بمطلوبه . ثم توجّه منها ، الى باريز ، للمقصد نفسه ؛ فكان له الفضل في المسألة ، بدءاً وعوداً .

وقد زاده — حينئذٍ — الامبراطور نابليون الثالث ، على مرتبه السابق ، ألفـــين وخمسمائة ليرة [2] . وكان له فرط شغف به ، لمكارم أخلاقه . ثم توجّه من باريز ، الى لندرا ؛ فاحتفلوا به غاية الاحتفال . ثم عاد الى الشام . ومن ذلك الوقت ؛ قويت المناسبات بينه وبين ملوك أوربا ، والرؤساء المشهورين هناك . فكان ذلك ؛ وسيلةً لقضاء حوائج المسلمين ، الذين هم في مستعمراتهم . وحصل لهم — بذلك — من المنافع ؛ ما لا يوصف .

وفي سنة ١٢٨٦ دعي الى مصر ، لحضور الاحتفال ، بافتتاح خليج

---

١ — القصيدة منشورة في ديوانه ، الطبعة الثالثة ص ١٩٧ — ٢١٣ تحقيق الدكتور ممدوح حقي .

٢ — الليرات هنا ذهبية ، وتعادل الليرة في عصرنا هذا نحو ١٢ دولاراً امريكياً .

السويس ، الذي دُعي اليه ملوك أوروبا ، وأمراؤها ؛ فذهب اليه . ثم رجع الى دمشق .

وفي سنة ١٢٨٨ أرسل نسخة ، من الفتوحات المكية ، مع عالمين جليلين ، الى قونية ، لمقابلتها وتصحيحها على نسخة موجودة هناك ، بخط مؤلفها الشيخ الأكبر – قدس الله سره – وبعد تصحيحها بكل اتقان ؛ قرأها على بعض الخواص من العلماء ، فحصل لهم بذلك نفع عظيم .

وفي منتصف ليلة السبت ، التاسع عشر من شهر رجب الفرد ، سنة ١٣٠٠ انتقل هذا الأمير الجليل ، الى رحمة الله تعالى ، في قصره الكائن قرب قرية دمر ، التي تبعد عن دمشق ، مسافة ساعة [١] بعد ان مرض نحو خمسة وعشرين يوماً . وكان مشتغلاً فيها ، بالمراقبة والذكر . ولم تبدُ منه شكوى . وإنما كانت تلوح عليه سيماء الاستبشار بلقاء الله تعالى ، والرضى بأحكامه . وقد تولىَ غسله وتكفينهُ ، نزيله الشيخ عبد الرحمن عليش ، أحد علماء الازهر . وحُمِلَ نعشه المبارك ، على أكتاف الرجال الأماجد ، الى الجامع الأموي . وبعد الصلاة عليه ؛ شيّعه أهل دمشق ، بغاية الاحتفال والتعظيم . ولم يزالوا سائرين بجنازته ، وعليها من الهيبة والوقار ؛ ما تخشع له القلوب ، وتشخص له الأبصار ، الى ان أوصلوه الى حجرة الشيخ الاكبر ؛ فدفن بها ، في جواره . ورجع الناس متأسفين ، على فراقه ، لمحاسن أوصافه ، ومكارم أخلاقه .

وقد خلّف – رحمه الله – عشرة من البنين ، أكبرهم : الأمير محمد ، ويليه الأمير محي الدين ، والأمير الهاشمي ، والأمير ابراهيم ، والأمير

---

١ – المسافة بين دمشق ودمّر هي سبع كيلومترات تقريباً . وقوله : مسافة ساعة ، أي للماشي على قدميه ، اذ لم تكن السيارات قد وجدت بعد .